إنـا للّه، وإنـا لهـذا العـراق

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

كلما شرعت بكتابة مادتي الأسبوعية للمدى، تعوّذت بالله من شر الهذر والإطالة التي تأخذ من القارىء وقتاً هو أحوج إليه، وقد لا تمنحه بديلاً لذلك، وهو عناء أظل أتقلب على فراشه، فأختار في نومي مثلما في صحوتي ما يمكن أن يقال بلا لغو فائض عن اللزوم، وقلة في الجدوى، وحذر من مزالق الكلام.

وأنا أغبط زملائي من كتاب الأبواب والأعمدة اليومية الثابتة على كفاءتهم في ملء أكثر من فراغ، وأحيانا في أكثر من جريدة أو وسيلة إعلامية. فالمسألة، بالنسبة لهم ليست مسألة احتراف وحشو للقول، بقدر ما هي نوع من الإيمان بجدوى الكلام، وقدرة على القبول بما يفرضه الواجب، وتمنحه الموهبة. وقد رأيت ما لا قدرة لي عليه من بعض زملائي الذين تجمعني بهم أماسٍ جميلة تأخذ من أحاديثنا قسطاً يبعث على الانتشاء، رأيتهم ينسلون من صخب أحاديثنا وضحكاتنا، ويروحون يكتبون في دفاترهم ما سيظهر غداً في أبوابهم وأعمدتهم الصحفية، ويعودون إلينا بعد وقت قصير ليواصلوا سهرتهم معنا.

مواهب وتجارب يسند بعضها بعضاً، تأتي إلى القارىء ساخنة كرغيف خبز.

ولكن حين تزدحم الأحداث وتتوالى مصادر الكتابة أمام الكاتب، يجد نفسه وقد حوصر بالموضوعات ذات الأهمية التي لا ينبغي عليه أن يتجاهلها أو يفلت منها، فحار إلى أيها ينجذب، وأيها يفضّل، وأيها يقدم وأيها يؤجل.

حيرة لا تخطر ببال القارىء، ولكنها حيرة تحيّر الكاتب.

هنا يخرج الموضوع عن شروط العمل التي قبلنا بها دون عقد، وارتضيناها على الثقة والمسؤولية، مجاناً لرضى الله وقبول القارىء، وهي التي تنظم علاقاتنا على أحسن ما يرام.

وهنا أيضاً يخرج الموضوع من شروط الالتزام الأدبي مع الجريدة واحترام مواعيدها، إلى الالتزام بحق القارىء وما ينتظره منّا.

فهل من المعقول أن أواصل كتابتي عن (مزالق الشيخوخة) في هذا الجو المحتقن المتوتر والمشبّع بالانتظار المرير لما ستؤول إليه المناقشات التي أكلت قلوبنا بشأن قانون الانتخابات؟

كيف لمزاجي أن ينفتح على غير هذه الهموم في هذا الوقت الذي يسحق الأعصاب سحقاً، ويضبّب آمالنا بغد يحترم كرامة الموقف، ويحمينا من الانسياق إلى مجانية القول والمراهنة على (علم الكلام الحديث) الذي لا علم فيه غير الوقوف في دائرة الضوء واقتناص المكاسب، وتدبيج المآثر الكلامية لمجرد الزعم بأنهم قالوا وشغلوا الناس بأقوالهم التي لم تعد ذات قيمة، والتي باتت مصدراً للسخرية والملل.

أتكون كل هذه الوجوه الكريمة التي انتخبها الشعب لهذه المجالس الموقّرة، واطمأن إلى سلامة مواقفها، وحسن رأيها، وحرصها على إعلاء كرامة الوطن وإنقاذ أهله مما يُحيق بهم من مآسٍ، تقبل أن يستحيل العراق إلى كرة تتقاذفها الخطب العنترية والمواقف الاستعراضية؟

ألم يبقَ للحكمة وسموّ الموقف مجال يكبح اللعب بمقدرات هذا الوطن؟

أريد أن أطمئن إلى أن في هذه المجالس من يدرأ سقوط الوطن.

أريد أن أسمع من يقول: كفى! فقد وصلت النفس إلى الحلقوم.

أريد أن أرى فجر العراق ينبثق بعنفوان وصدق من هذه المجالس.

وأريد أن أرى كريماً يتراجع عن الخطأ ويقول: إنا لله وإنا لهذا العراق.

وأريد الاعتذار ممن كان ينتظر من قرائي أن يقرأ غير هذه اللوعة وهذا العجب.

آرثر ميلَر.. التحرر من الوهم

ترجمة: عادل العامل

يمكن القول إن مقدمة أرثر ميلر لمجموعة قصصه القصيرة الأولى عام ١٩٦٧ لن تُسر المناصرين الأكثر تفاؤلا لها النوع الأدبي ـ و ليس ذلك فقط لاحتفاظها بخطأ تهجئة "همنغوَي". ففكرة أن القصص القصيرة، كما يقول، " أمور عَرَضية تقريباً في الطرف المنخفض من ميزان الكبَر أو الأهمية magnitude " هو سعَيد تماماً بتقبلها. و هذا هو بالضبط السبب في أنه يتمتع بكتابتها. فهي، بالنسبة لكاتب مسرحي، فرصة للهرب من "الحرارة الفظيعة في مركز المسرح" من أجل شيءٍ ما أقل مهابة و أكثر تواضعا.

و تمضي بقية الكتاب في طريقها انتصاراً لهذه التصورات، كما يذكر جيمس ولتون في عرضه هذا. فالـ ١٨ قصة ـ التي تتضمن المجموعتين المنشورتين خلال حياته، و ثالثة، (حضور Presence)، المنشورة بعد موته ـ تنقصها القوة الساحقة التي تتّسم بها أفضل دراما ميلر. و لو أن التعويض عن هذا حسٌ بالحميمية غني بل و مؤثر. و مع استثناءات قليلة، فإن هذه القصص ليست جيدة فقط، بل و جيدة بطريقة يمكن أن تأتي بحق كإلهام للمعجبين بميلر. " إنني أشعر بأني أعرفُ تشيخوف من قصصه بشكل أفضل مما في مسرحياته "، كما يقول في نفس تلك المقدمة ـ وبعد قراءة الواحد منا لمجموعة (حضور) يكون لديه الشعور نفسه عنه.

وهذا ليس فقط لأن بعض المادة يتّسم بالسيرة الذاتية. " فقصة "أنا لا أحتاجك أكثر من ذلك " تدور حول ولد ينشأ في أسرة يهودية نيو يوركية لأب أمّي. و "أرجوك لا تقتل أي شيء" تصوّر رجلا في منتصف العمر مع زوجة فاتنة لكنها هشة عاطفياً. ("إن توهج وجهها و الشكل المذهل لجسمها"، كما يقول في القصة، هما بالضبط صفتان من الصفات المماثلة لمارلين مونرو عند العرض).

وبدلاً من هذا، فإن ما يجعل قراءة الكتاب يعطي إحساساً بالحصول على وسيلة وصول مميزة إلى ميلر هو أننا نبدو باستمرار حاصلين على لمحة للشكوك الخاصة وراء الأمور المؤكدة المنعشة لحياة ميلر العامة و مسرحياته، أو أله المتواصل، بالنسبة لبعض النقاد.

و لقد قال ذات يوم أنه عند كتابة (البودقة The Crucible) " كلما عملتُ أطول شعرت بأني على يقين أكثر... و كانت هناك لحظات كان فيها ضمير فرد باستطاعته تماماً أن يحفظ العالم من السقوط ". وفي (حضور)، يبدو أقل يقيناً بكثير، مع كثير من الشخصيات، خاصةً في القصص المتأخرة، في ما يتعلق بسياسة اليسار في شبابها مع شكوكية تبلغ أحياناً خيبة الأمل أو التحرر من الوهمً disillusionment.

وفي قصة " فتاة عائلية Homely Girl " عام ١٩٩٢، مثلاً، تنظر جانيس سيشَنز إلى وراء بارتباك بشأن عاطفة الثلاثينيات الراديكالية. " حين أفكر بالكتّاب الذين أعتقدنا جميعاً بأنهم كانوا مهمين كثيراً، و ما عاد أحد يعرف أسماءهم... ذلك الأدب بكامله اضمحل ببساطة. انتهى ". و كان زوجها، من جانبه، رجلاً مستقيماً معادياً للفاشية إلى حد أنه و هو يقاتل في أوروبا اغتصب بشكلٍ مثير امرأة ألمانية!

هذه الموضوعات تبلغ الذروة في القصة ما قبل الأخيرة، " مقطر التربنتينة ". فمارك ليفن، الذي " صار يشك في أن السياسة قد غيّرت السلوك الإنساني نحو الأفضل حقاً "، يقوم بزيارة إلى هايتي في الخمسينيات و يقابل مواطناً أميركياً مثالياً يحلم بتحويل حيوات أهل الجزيرة من خلال تصنيع زيت التربنتينة من الأشجار الهايتية. و بعد ثلاثين سنة و قد أصبح أرمل (يكتب ميلر بقوة كبيرة في هذه القصص المتأخرة حول قدرية weirdness تعميرك أكثر من معاصريك)، يعود ليفن إلى هايتي و يكتشف أن المشروع قد فشل. و كل ما تبقّى هو معمل تقطير مدمَّرفي غابة مدمرة في بلد مدمَّر.

و أنا لا أشيِّر هنا إلى أنّ القصص تمثل بالضرورة وجهات نظر ميلر الحقيقية. فكما نعرف، يمكن للشك و الإيمان أن يتعايشا في عقل أي واحد ـ و الغرض من الأدب القصصي هو استكشاف وجهات نظر بديلة. و المجموعة القصصية، على كل حال، توفر قطعة فاتنة و مفيدة مصاحبة لتعابيره العامة المثيرة المعروفة. و كما قال في وقت متأخر في عام ١٩٨٧، " فإن مهمة المسرح هي تغيير، تصعيد وعي الناس بإمكانياتهم الإنسانية ". و هو هنا، بالمقارنة، يؤكد باستمرار عدم قدرة الناس على التغيّر ـ و يبدو أكثر إدراكاً بكثير لحالات العجز الإنساني.

عن/ Telegraph

أن يقف المثقف جانبا ويهجو الزمان

لطفية الدليمي

همست الكلمات لكاتب مكثر: كن رائيا، فنهرها: لا تشغليني بالرؤى وتبددي وقتي، اخرسي وانصاعي لحرفتي، أكاد أنهي كتابي الخمسين..قالت النجمة الصغيرة للعتمة التي أفزعت الطفل: خففي من قسوتك فأنا قادمة، قالت العتمة: سأهزمك يا ضئيلة، حزنت النجمة وتحولت إلى دمعة، سالت برقا ساطعا على وجه السماء، ضحك الطفل ونسي أمر العتمة..

– هل الانطفاء حالة إنسانية تخلفها الحروب؟ هل الصمت خيار للبقاء خارج اللعبة؟ أم أنه إرث حزين اكتسبه البعض من أزمنة القمع؟ هل يمكن أن نفسر صمت كثير من المثقفين إزاء الأحداث بأنه نرجسية اللامبالي بمصائر الآخرين وأقدارهم؟. أم تراهم يحدقون في غمائم الدخان ويخشون أن يفلت الزمن من قبضتهم فيعتصمون بالصمت ويستغرقهم ذهول السادرين في الكهوف؟ ألا توقظ الثقافة شهوة الحراك في المجتمع؟. ألا تلقي بأنوار الإبداعات الفكرية والفنية الخلاقة على عتمة الدروب؟ أهو الخوف ذاته من العقب الحديدية؟ أهو التحسب من الأصفاد بصيغها الأعنف؟ نراهم فوق التلال أو الهضاب، يسترخون على الشرفات الظليلة أو في الغرف الموصدة، أو في بعض المتاهات وأبراج العزلة، يلتزم كثرة منهم الصمت والاستغراق في التخفي أو اعتناق الحياد أو الكتابة عن تجريدات ذهنية وتهويمات خالصة لا دور لها في سياق تغيير الحياة وتجددها، يغرقوننا بالمصطلحات العائمة ويسوقون أفكارا مستهلكة، يستشهدون بمقولات بطل سحرها مستلة من متون نقاد ومؤدلجين غابرين، يفعلون كل هذا والأرض تفور بالأحداث والضحايا، يكتفون بالفرجة عن بعد، ويواصلون الاسترخاء في قناعاتهم العتيقة والدنيا نهب لحريق أو عرضة لخطر والحياة تنتظر منهم خلاصات تحفز التقدم ونتائج تستقرىء ما سيأتي، غير أن معظمهم يؤثرون السلامة بالانسحاب من ميدان المشاركة، يخشون الفعل والمواجهة، يتشبثون برموز تاريخية وحيثيات مندثرة وأيدلوجيات تهاوت، يتكئون على أفكار نحرتها التجربة، آخرون يديرون ظهورهم لساحة التحاور ومديات الجدل، يشيحون بوجوههم عن شؤون الراهن من أيامهم وأيامنا، يتمسكون ببيقين متقرن عن وجود حقيقة واحدة في العالم، لا تهزهم فواجع الحاضر ولا تحرك مخيلاتهم متطلبات ولوج المستقبل، سلبيون حد الإمحاء وعاجزون حد التلاشي..هؤلاء هم الذين ينثرون بذار التراجع في حقول الحاضر، هم بياعو اليأس وسادة التيئيس وسدنة الخرافة والقبول بالقضاء والقدر والوقوف في انتظار بزوغ المعجزات..

– نعرف أن بعض الكتاب والمثقفين من كل صنف وتخصص وعلى اختلاف ما يرومون من الحياة، هم أكثر الناس هجاء للزمان، وأقدرهم على إعلان الشكوى من الدنيا وأهلها وذم الأحداث وصانعيها، والتصدي لكل مبادر وتهشيم أحلام الآخرين وتسفيه مشاريعهم وتجاربهم.. تتحكم بهؤلاء فكرة متسلطة تتعاظم بتعاظم الوهم لديهم، بأنهم المظلومون المبعدون عن كل المرابح والمكاسب، وليس لهم أنصبة من أسهم الحياة، يعلنون أنهم المنسيون والذين تتجاهلهم المؤسسات فلا تركن إليهم في استشارة أو رأي، ولا تستثمر خبراتهم في ترميم الثقافة أو إعادة بنائها، يغدقون اللوم على زمان لم يوفهم حقا ولم يبذل لهم ما يستحقون من تقدير واعتبار، يلوحون برايات العتب، ويصطادون حادثة من هنا وضحية من هناك ليعلقوا على عاتقها محنة الثقافة والمثقفين وأسباب التغييب والإقصاء والتجاهل.. هؤلاء الذين يقفون على مسافة سلامة من الأحداث –يرتقون تلالا تعصمهم، ويهتفون بالمغامرين المبادرين: تريثوا ولا تورطونا معكم فيما يؤدي إلى الهلاك، أنصتوا إلى مواعظنا واستمعوا إلى حديث الخبرة ودقة التقدير..

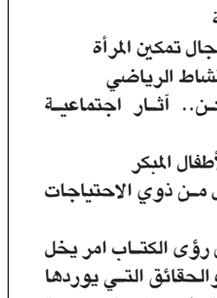

– يفتشون دوما عن ضحايا، ويتقمصون دور الجلاد بوعي أو من دونه، ينمسخ الضحية إلى جلاد يفوق سابقيه في مهنة البطش، معلنا الشكوى وهو في وقفته الراعشة على التل أو في اختفائه وراء حجب الخوف.

اصدارات

(متحف البراءة).. رواية جديدة لأورهان باموق

علي عبد الأمير صالح

تركيا الحديثة مكان مليء بالتناقضات ـ يضع قدماً في أوربا وقدماً في آسيا، يتعلق بين الحضارة الغربية وقيود الإسلام التقليدي وحائر بالفوران السياسي والعنف. ما من كاتب معاصر استطاع أن يحيي هذا العالم المعقد للقراء الغربيين مثلما فعل الروائي الحائز على جائزة نوبل للآداب أورهان باموق.

في روايته السايكولوجية العميقة التي صدرت حديثاً (متحف البراءة)، نرى استانبول في عقدي السبعينات والثمانينات الصاخبين عبر عدسة قصة حب محكوم عليها بالفشل. كمال خطب فتاةً جميلةً وذكيةً من طبقته الاجتماعية تُدعى سايبل ـ ومع ذلك يقع هو بصورة عميقة ومتعذر تغييرها في غرام فتاة فقيرة تمت إليه بصلة قرابة بعيدة، اسمها فوسون. حينَ يرفض كمال أن يترك سايبل، تختفي فوسون عن الأنظار. لا عزاء له، يعود يومياً تقريباً إلى المكان الذي كانا يمارسان فيه الغرام، يداعب ويداري الأشياء التي لمستها يوماً ما كما لو أنها ما تزال تحتوي أثراً ما منها. يغوص أعمق فأعمق في اليأس والقنوط، منسلخاً عن كل الناس المحيطين به عدا سايبل، التي ارتبطت به بالقدر نفسه من الحب ومن العار الذي ستواجهه إذا ما فسخا خطوبتهما. لكن كمالاً لا يستطيع أن ينسى فوسون، وسوف يكرس حياته من أجل امتلاكها ـ أو في الأقل، امتلاك الأشياء التي تذكره بها ـ حتى إلى درجة أن يحطم نفسه، والذين يحبهم كل الحب.

مع أن راوي باموق مخلص بصورة عميقة ـ يفكر في فوسون فقط، وقلما تلفت السياسةً انتباهه على الرغم من العنف اليومي الجاري في شوارع استانبول ـ هذه الرواية تصور زمانها ومكانها بطريقة نابضة بالحياة. فيما يتذبذب الغلاف العلوي لإستانبولَ بين المواقف " الحديثة " نحو الجنس وبين طاحونة الشائعة الفاسدة أخلاقياً والمفروضة ذاتياً التي تقوّي القيم التقليدية، تُترك شخصيات باموق كي تجتاز القواعد والعادات الاجتماعية المعقدة ـ بعضها تحدد حريتها، وبعضها الآخر، الأمر الذي يثير دهشتنا (وينال ثقة باموق)، تتيح لهم أن ينعموا بالسعادة.

الشيء اللافت جداً في هذه الرواية الجميلة هو أن باموق يفلح في نقل هذا كله فيما هو يسرد لنا القصة من خلال عيني راوٍ هو، على غرار بطل نابوكوف هومبرت هومبرت، منهمك جداً بهاجسه بأنه يبدو قليل الاهتمام بالعالم المحيط به.

إنما على غرار (لوليتا) التي تنبجس بوصفها نوعاً من بورتريه لـ أمريكا، مثل هومبرت ولقائه بـ لوليتا في موتيل (فندق على الطريق العام) في وقت من الأوقات، هكذا تقف رواية (متحف البراءة) ليس فقط بوصفها قصةً حول رجل والمرأة التي يحبها، إنما أيضاً حول رجل ومدينته ـ أناسها، ومطاعمها، وموسيقاها، وتقاليدها المتغيرة أبداً والمجرى المائي المهيب الذي يفصل الشرق عن الغرب، المجرى الذي يمر بوسطها.

كتاب عن عملية التغيير في مجال المرأة والطفولة

المدى الثقافي

صدر عن دار الحرة ببغداد مؤخرا كتاب من الكتب المرجعية في الدراسات الاجتماعية عن المرأة والطفولة في العراق، وهو كتاب المؤلفة سميرة جعفر الموسوي الذي صدر بعنوان ((نحو رؤية مستقبلية لعملية التغيير والتطوير الاجتماعي في مجال المرأة والطفولة)) وقد بني الكتاب باعتباره من المحاولات المنهجية الاساسية في احداث تغيير وتطوير في البنية الاجتماعية العراقية للنهوض بواقع المرأة والطفولة بأعتباره شرطا لبناء الدولة المدنية الحديثة. جاء الكتاب في مقدمة منهجية شارحة لاصول البحث ودوافعهثم وردت فصول الكتاب مسندة بالملاحق والوثائق المتعلقة بالبحث والداعمة لوجهات نظره.

من هذه الوثائق والملاحق: الملحق الاول الذي يحوي موجزا لتقرير التنمية الانسانيةالعربية الذي اصدره المكتب الاقليميلبرنامج الامم المتحدة للدول العربية، كما تضمن اللحق الثانينصوصا مختارة من كتاب السلطوية في التربية العربية، فيما كان الملحق الثالث خاصا بالعنف ضد الاطفال وجاء الملحق الرابع بعنوان(الإشكالات الاجتماعية في العراق) وقد تضمن عدة بحوثاساسية في درس علاقة التنمية بالسياسة الاجتماعية وتحولاتها، فيما جاء الملحق الخامس حاويا لملخص للتقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق، إضافة الى ملحقين آخرين عن الاجراءات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية وعن دور الاعلام في تعزيز مكانة المرأة.

متن الكتاب احتوى على اهداء ومقدمة شارحة –ثم (منطلقات نظرية للرؤية المستقبلية لعملية التغيير والتطوير الاجتماعي في مجال المرأ ة والطفولة).

ان هذا الكتاب يسلسل فصولا متعددة تطرح وضع تالمرأة الاجتماعي والسياسي والقانوني الراهن ومرتكزات التغيير والتطوير والجهات والوزارات التي يقع على عاتقها النهوض بالعمل مع دراسة لمرتكزات التغيير والتطوير. من فصول الكتاب المهمة فصل بعنوان (إيضاحات) ويتضمن توجيهات للجهات المعنية بتنفيذ مشاريع التنمية ومقترح موسع بانشاء هيئة وطنية عليا للمشروع – الشاريع – المقترح.

ياتي الفصل التالي بعنوان من اولويات العمل حاويا لعدة أفكار ونقاط منها :

١– بيت الحكمة مرجعية وطنية عليا
٢–اعادة النظر بالنظام التربوي والتعليمي
٣– اوليات في مجال الصحة
٤– اولوياتفي مجال تمكين المرأة
٥– في مجال النشاط الرياضي
٦– ازمة السكن.. آثار اجتماعية ومعالجات
٧– ظاهرة عمل الأطفال المبكر
٨– المرأة والطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة

ان تلخيص بعض رؤى الكتاب امر يخل دون شك بافكاره والحقائق التي يوردها لكن الباحثة الكريمة تشير الى خصوصية المجتمع الراقي وطول معاناته وقدكان اهم مظاهر الخصوصية استمرارتعدد مكونات الشعب وتعايشها بسلام رغم اشتداد ظروف العنف الذي ضعفت آثاره فيما بعدلوجود ذلك النسيج التاجتماعي المتماسك.

ان كتاب الباحثة الموسوي قراءة فكرية وعملية لواقع المراة والطفولة العراقية وهو جزء حيوي من دراساتها الاجتماعية المنهجية التي استحقت التقدير دوما.